@ 500 @ الغيب أم اتخذ عند الرحم ن عهدا * كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا * ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) ^ أي : أفلا تعجب من حالة هذا الكافر ، الذي جمع بين كفره بآيات ا ودعواه الكبيرة ، أنه سيؤتى في الآخرة مالا وولدا ، أي : يكون من أهل الجنة ، هذا من أعجب الأمور . فلو كان مؤمنا با وادعى هذه الدعوى ، لسهل الأمر . وهذه الآية وإن كانت نازلة في كافر معين ، فإنها تشمل كل كافر ، زعم أنه على الحق ، وأنه من أهل الجنة . قال ا ، توبيخا له وتكذيبا : ^ (أطلع الغيب) ^ أي : أحاط علمه بالغيب ، حتى علم ما يكون ، وأن من جملة ما يكون ، أنه يؤتى يوم القيامة مالا وولدا ؟ ^ (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) ^ أنه نائل ما قاله ، أي : لم يكن شيء من ذلك ، فعلم أنه متقول ، قائل ما لا علم لديه . وهذا التقسيم والترديد ، في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة . فإن الذي يزعم أنه حاصل له خير عند ا في الآخرة ، لا يخلو . إما أن يكون قوله صادرا عن علم بالغيوب المستقبلة ، وقد علم أن هذا ، ا وحده ، فلا أحد يعلم شيئا من المستقبلات الغيبية ، إلا من أطلعه ا عليه من رسله . وإما أن يكون متخذا عهدا عند ا ، بالإيمان به ، واتباع رسله ، الذين عهد ا لأهله ، وأوزع أنهم أهل الآخرة ، والناجون الفائزون . فإذا انتفى هذان الأمران ، علم بذلك ، بطلان الدعوى ، ولهذا قال تعالى : ^ (كلا) ^ أي : ليس الأمر كما زعم ، فليس للقائل اطلاع على الغيب ، لأنه كافر ، ليس عنده من علم الرسائل شيء ، ولا اتخذ عند الرحمن عهدا ، لكفره وعدم إيمانه . ولكنه يستحق ضد ما تقول ، وأن قوله مكتوب ، محفوظ ، ليجازى عليه ويعاقب . ولهذا قال : ^ (سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا) ^ أي : نزيده من أنواع العقوبات ، كما ازداد من الغي والضلال . ^ (ونرثه ما يقول) ^ أي : نرثه ماله وولده ، فينتقل من الدنيا فردا ، بلا مال ولا أهل ولا أنصار ، ولا أعوان ^ (ويأتينا فردا) ^ فيرى من وخيم العقاب ، ما هو جزاء أمثاله من الظالمين . ^ (واتخذوا من دون ا آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا * ألم تر أنآ أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا * فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا) ^ وهذا من عقوبة الكافرين أنهم لما لم يعتصموا با ، ولم يتمسكوا بحبل ا ، بل أشركوا به ووالوا أعداءه ، من الشياطين سلطهم عليهم ، وقيضهم ، فجعلت الشياطين ، تؤزهم إلى المعاصي أزا ، وتزعجهم إلى الكفر إزعاجا ، فيوسوسون لهم ، ويوحون إليهم ، ويزينون لهم الباطل ، ويقبحون لهم الحق ، فيدخل حب الباطل في قلوبهم ، ويتشربها فيسعى فيه سعي المحق في حقه فينصره بجده ، ويجاهد أهل الحق في سبيل الباطل . وهذا كله ، جزاء

له على توليه من وليه وتوليه لعدوه جعل له عليه سلطانه . وإلا فلو آمن با ، وتوكل عليه ، لم يكن له عليه سلطان كما قال تعالى : ^ (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) ^ . ^ (فلا تعجل عليهم) ^ أي : على هؤلاء الكفار المستعجلين بالعذاب ^ (إنما نعد لهم عدا) ^ أي : أن لهم أياما معدودة لا يتقدمون عنها ولا يتأخرون ، نمهلهم ونحلم عنهم مدة ليراجعوا أمر ا ، فإذا لم ينجع فيهم ذلك أخذناهم أخذ عزيز مقتدر . ^ (يوم نحشر المتقين إلى الرحم ن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا * لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحم ن عهدا) ^ يخبر تعالى عن تفاوت الفريقين ، المتقين ، والمجرمين ، وأن المتقين له باتقاء الشرك والبدع والمعاصي يحشرهم إلى موقف القيامة مكرمين ، مبجلين معظمين ، وأن مآلهم الرحمن ، وقصدهم المنان ، وفدا إليه ، والوافد ، لا بد أن يكون في قلبه ، من الرجاء ، وحسن الظن بالوافد إليه ، ما هو معلوم . فالمتقون ، يفدون إلى الرحمن ، راجين من رحمته ، وعميم إحسانه ، والفوز بعطاياه في دار رضوانه ، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه ، واتباع مراضيه ، وأن ا عهد إليهم بذلك الثواب ، على ألسنة رسله فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به ، واثقين بفضله . وأما المجرمون ، فإنهم يساقون إلى جهنم وردا ، أي : عطاشا ، وهذا أبشع ما يكون من الحالات سوقهم على وجه الذل والصغار ، إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة ، وهو جهنم ، في حال ظمأهم ونصبهم ، يستغيثون ، فلا يغاثون ويدعون ، فلا يستجاب لهم ، ويستشفعون ، فلا يشفع لهم ، ولهذا قال : ^ (لا يملكون الشفاعة) ^ أي : ليست الشفاعة ملكهم ، ولا لهم منها شيء ، وإنما هي تعالى ^ (قل الشفاعة جميعا) ^ . وقد أخبر أنه لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، لأنهم